الفصل الثالث

من الرسائل المتبادلة بين العراق ومصر

قبل البدء بعرض ترجمة للرسائل المتبادلة ينبغي التعرف على معطيات أسماء كاتبها ومرسلها، لا سيَّما وأن تلك الأسماء كانت غريبة في تهجئتها عن الجانب الآخر، كما وأن ترجمة الكتابات المسمارية خضعت إلى التعديل أحياناً، أضف إلى ذلك أن اسماً لملك واحد قد يأتي بعدة صيغ بتغيير مقطع أو أكثر في اسمه، فعلى سبيل المثال جاء اسم "امنوفيس" الثالث في النصوص بصيغة "نب ماريا"[٣٤] وايموريا[٣٥] و"ميموريا[٣٦] و"نيموريا".

ومن الواضح أن صيغتي "ميموريا" و"تيموريا" فيها ابدال لحرفي الميم والنون كأمر مألوف في الكتابات العربية القديمة. أما عن اسم "امنوفيس" الثالث فقد جاء اسمه بالمصرية بصيغة "نب-مات-رع".

ومما تشير إليه بعض المصادر أن "ميموريا" هو "طوطمس" الرابع، إلا أنه لا يوجد مبرر لهذه الفرضية ما دام الرقيم موجهاً إلى "امنوفيس" الثالث[٣٧]. أما الملك الذي تلا امنوفيس" الثالث فهو ابنه "امنوفيس" الرابع (إخناتون) إلا أن الصيغة التي خاطبه بها حُكّام بابل والرسائل الأخرى فهي "نفخوريا" عن اسمه بالمصرية "نفر-خفيرو-رع"[٣٨]. وعموماً فإن ملوك بابل وآشور وميتاني كانوا يُسمّون ملك مصر بالاسم الأول الذي كان يُسمّى به[٣٩]. ومما تمدنا به كتابات العمارنة اسم الملك "توت عنخ أمون" الذي أتى بعد إخناتون وألغى ثورته في الوحدانية، وربما يمثله الاسم "خنزورو" الوارد في الكتابات المسمارية[٤٠]. إلا أن مجيء الملك المذكور يشير إلى عدم استمرار تلك المراسلات.

أما أسماء ملوك بابل الذين ورد ذكرهم في الرسائل فهم "كاد شمان انليل" (وكان اسمه يقرأ سابقاً كاليماسن)، "بورنا بورياش" "وكوري كالزو" الثاني الذين لُقّبوا بملوك "كاردونياش" أي بابل[٤١].

وفيما يخص الآشوريين الذين تراسل المصريون معهم فقد جاء اسم "آشور أوبالط". وكما أشرنا أن ما وصل من رسائل لا يُمثّل ما كانت عليه الرسائل من حيث العدد. إلا أننا من جهة أخرى يمكن القول أن علاقة مملكة بابل بمصر كانت أوثق منها مع آشور التي كانت مملكة "ميتاني" تستولى على أجزاء من أراضيها.

لو أتينا إلى تحليل جانب من منطلقات مراسلات العمارنة نراها تشتمل على نواحي الحياة التي كانت مألوفة لديهم:

١. تأكيد حسن نية الملوك إلى بعضهم.

٢. ضمان عدم التدخل بطريقة تقوي الأواصر.

٣. تبادل المواد التي يطلبها أي من الجانبين المتراسلين.

٤. المصاهرة بغية إحلال علاقات أوثق. وبناء على ذلك فإن تلك الرسائل تناولت ما أمكن تناوله من موضوعات، فهي اذن مرحلة متطورة، "ومن هذا التقسيم يَتَّضح، كما يقول "ميروي"، إن سياسة الحماية المستترة بستار المحالفة ليست اختراع العصر الحديث بل هي سياسة كان المصريون يعرفونها ويجرون عليها في علاقاتهم مع بعض الأمم المجاورة لهم"[٤٢]. ومن ثمَّ فإن تلك الرسائل تُمثّل مُنطلقاً ناضجاً لعهود من الخبرة الطويلة لا أسلوباً ساذجاً في التعبير لمنطلقات مودَّة، كما يرى البعض[٤٣]. ممن بهرتهم دبلوماسية اليوم بعدم الأخذ بعامل الزمن لتحديد صيغة تطورها.

وخلال عرض الرسائل سأتناول بشكل خاص ما هو مُتبادل بين مصر وبابل وآشور، في حين ستكون الإشارة إلى مملكة "ميتاني" عابرة.

نماذج مختارة للرسائل

كما مرَّ بنا سابقاً يمكن القول بأن الرسائل غطت ثلاثة موضوعات على الأقل تناولتها رسائل العمارنة متمثلة بالآتي: تبادل الهدايا، المصاهرة، وأمور سياسية مختلفة.

١. النوع الأول:

يتناول الحديث فيها رسائل متبادلة بين "أمنوفيس" الثالث و"كادشمان انليل" وبالعكس. وأخرى بين "بورنابورياش" و"امنوفيس" الرابع وكذا بين "كوري كالزو" الثاني و"أمنوفيس" أيضاً.

مما تشير إليه بعض المصادر إلى أن ما بقي من رسائل "امنوفيس" الثالث و"كادشمان انليل" خمس إحداها من الفرعون نفسه والأخرى من "كادشمان". أما فيما يخص النوع الأول فقد وصلتنا منها رسالة مرسلة من "كادشمان" إلى "امنوفيس" الثالث يقول فيها بأنه بحاجة إلى الذهب لإكمال متطلبات بناء معبد راجياً أن يصله خلال شهري تموز وآب. كما ذكر أنه بحاجة إلى كمية كبيرة لدرجة أن ملك مصر لو ارسلت ثلاثة آلاف "تالنت"[٤٤] من الذهب فإنه سوف لن يرضى به وسيعيده إلى مصر[٤٥]. ولكن يبدو أن جواب الرسالة ربما واجه التلف عند نقل الرقم الستمئة حيث لم يصلنا عنه شيء. إلا أنه من المحتمل أن تكون ترتيبات معينة قد تَمَّت مستنتجين ذلك من أن ملك بابل قرر ارسال ابنته إلى مصر لتكون زوجة لامنوفيس[٤٦]. على أي حال، إن الذهب في مصر بكثرة التراب حسبما يرى العاهل البابلي[٤٧].

أما عن الرسائل المتبادلة بين "بورنابورياش"و"امنوفيس" الرابع (إخناتون)، فلعل المحفوظ منها في المتحف البريطاني يُمثِّل أهمها لأن فيها ضرباً من التبرير والاستدراج بما لا نعهده في الرسائل السابقة. على أي حال لم نعثر على رسائل متبادلة بين "بورنابورياش" و"امنوفيس" الثالث أو بين "إخناتون" و"كادشمان انليل" لذا يُفترض وفاة الأخير و"امنوفيس" الثالث في وقت متقارب. أو لربما لم يصلنا منها شيء لكثرة التالف من الألواح.

لنأتِ إلى نص الرسالة الطريفة التي أرسلها "بورنابورياش" إلى "إخناتون" فهي تحتوي على أكثر من موضوع على الرغم من أن الطلب في رغبة ملك بابل في الحصول على ما يعينه لبناء معبد قال "بورنابورياش".

"إلى نفخوريريا ملك مصر

هكذا يقول بورنابورياش ملك بابل، أخوك. إنني بخير، فعسى أن تكون أنت وبنيك وزوجاتك أولادك ونبلاؤك وخيلك وعرباتك بأحسن حال".

"منذ أن عقد أبي وأبوك الود فيما بينهما كانا يتهاديان أنفس الهدايا ولم يمنع أحدهما ما كان يطلب الآخر مهما عَزَّ وغلا.

"والآن لقد أهدى إلي أخي "منين" من الذهب فوددت لو أنك ارسلت الي ذهباً بقدر ما كان يهديه أبوك. وإذا كان لا بد من تقليل المقدار فأرسل إليَّ نصف ما كان يُرسله أبوك. فلِمَ أرسلت "منين" من الذهب فقط؟ إنني الأن باذل جهداً كبيراً في بناء المعبد. وقد تعهدت العمل بقوة وسوف أنجزه بدقَّة فأرسل إليَّ قدراً كبيراً من الذهب وإذا رغبت في شيء من بلادي مهماً كان فأبعث رسلك يأتوك به".

"في عهد أبي "كوريكالزو" أرسل إليه الكنعانيون يقولون لنذهب إلى حدود مصر ولنغزها جميعنا وسوف نعقد معك حلفاً. أما أبي فقد أجاب على هذه الرسالة قائلاً: كفوا عما تتشدونه من الحلف. إذا كنتم أعداء ملك مصر، أخي، فليكن الحلف فيما بينكم. ولكن لتحذروا جانبي. إذ لما كان ملك مصر حليفي فمن ذا الذي يصدّني عن أن أغزوكم؟".

"وهكذا فلأجل أبيك لم يسمع أبي قولهم. وإنما ما يخص بعض الآشوريين من أتباعي "كذا" أفلم أخبرك برسالة في شأنهم؟ فلِمَ دخلوا بلادك؟ وبما إنك تحبني فيقيني أنك لن تدخل معهم في شيء وإنك ستعمل على إحباط جهودهم وسعايتهم".

"و(بالختام) لقد أرسلت إليك هدية، ثلاث "مَنّات" من اللازورد وعشرة أفراس لخمس عربات من الخشب"[٤٨].

في الواقع تدخل نصف هذه الرسالة ضمن النوع الأول والأخر ضمن النوع الثالث الذي يخصُّ النواحي السياسية. على أي حال سنرى بأن "امنوفيس" الثالث كان أطول باعاً" من ابنه في ميدان العلاقات، ولربما كان ذلك لانشغاله في شؤون ثورته الإصلاحية الجديدة[٤٩]. على أي حال مما تشير إليه المصادر أن "بورنابورياش" الثاني كان يشكو في بداية حكمه من أن "إخناتون" لم يتبادل معه التهاني والهدايا، كما نجده يطلب تعويضات عن قوافل تجارية له تَعرَّضت إلى المتاعب[٥٠]. إن أحد الرسائل التي أرسلها تشتمل على جانب دبلوماسي طريف لا نعهده في رسالة أخرى، سأعرض له عند التطرق إلى النوع الثالث من الرسائل، إلا أنه لما كانت خاتمة الرسالة تتعلق بالحصول على بعض المواد التي احتاج إليها العاهل البابلي فيجدر تناول هذا الجزء منها:

"لقد حجزت رسولي، وقد أعطيت رسولك قراراً وسيَّرته، فأعط رسولي قراراً عاجلاً واسمح له بالعودة. ولـمَّا أخبروني أن الطريق طويلة جداً وأن مورد الماء قد قُطع. وإن الجو حار فإني أرسل إليك هدايا جميلة كثيرة، وقد أرسلت فقط هدية جميلة صغيرة من اللازورد الجميل لأخي، وكذلك أرسلت خمسة أزواج من الجياد، وإذا صار الجو حسناً فإني سأرسل عن طريق رسول من قبلي سأرسله لأخي بهدايا جميلة، وكل ما يحتاج إليه أخي".

"دع أخي يكتب لي! وسيحضرونها له من بيوتهم ولقد شرعت في عمل، وعلى ذلك كتبت لأخي فليرسل إليَّ أخي ذهباً كثيراً لأجل أن أنفِّذ بها عملي. والذهب الذي سيرسله أخي لا يجعله أخي في يد ضابط، بل تلحظه عينا أخي، وليختمه أخي ويرسله! وذلك لأن الذهب الذي أرسله أخي من قبل ولم يفحصه بنفسه، بل ختمه ضابط أخي وأرسله والأربعون مئة لم تكن مراقبة في الميزان (بعد صهرها)"[٥١].

إلى جانب تلك الرسالة الطريفة التي أرسلها "بورنابورياش" لإخناتون، توجد رسالة أخرى يبدؤها بالسلام وتذكيره بصداقة والد الملك البابلي بوالد" إخناتون"، وأنه يأمل أن يستمر ذلك على الدوام. إلاّ أن الذي يهمنا في هذه الرسالة أن ملك بابل أبدى تذمُّره من وفود رُسل مصر إلى بلاده ثلاث مرات فارغي الأيدي من الهدايا!، لذا فإنه سوف لن يُرسل شيئاً لملك مصر. ثم تذمُّره في رسالة أخرى مشيراً إلى أنه لم يستلم العشرين مانا من الذهب التي أرسلت بمعية مرسلها، وأنه استلم خمسة مانات لا غير. إلاّ أن ملك بابل رفض استلامها[٥٢].

على أي حال إن بعض الرسائل قد تحمل لنا أسماء المراسلين فالملك "بورنابورياش" يذكر أنه سيرسل العربات مع مراسله، " شندي شوكاب"[٥٣].

إذا كانت النماذج المختارة تُمَثِّل دبلوماسية تبادل الهدايا بين بابل ومصر فإن حظ آشور منها كان قليلاً، وما لدينا منها يُمثِّله رقيم واحد مرسل من ملك آشور، " آشور أوبالط" إلى "إخناتون" يُذكّره فيه أن ملك خاني كلبات[٥٤] في منطقة ديار بكر استلم منه هدية مقدارها عشرون مانا من الذهب، وأنه يقدم طلبه للحصول على عين الكمّية[٥٥]. على أي حال، إن التقارب بين مصر وآشور، على الرغم من محدوديته لم يرق لملك بابل، كما سنتحدث عن ذلك في النوع الثالث من المراسلات.

حينما نستعرض موضوع التبادل بين ملوك الشرق نستنتج أن ما كان العراق يرسله من اللازورد والخيل، فضلاً عن العربات هو ليس لزيادة في اقتصاد مصر، بل كمجرَّد هدية تُضاف إلى محتويات قصورها زيادة في الثقة وتذكر الملوك لبعضهم. أما فيما يخص ما تُرسله مصر إلى ملوك بابل وآشور كان لزيادة مُدَّخرات الدولة من الذهب. ومن الواضح أننا لا ينبغي أن نتوقع أن تشرح الرسائل كيفية اتفاق ما يرسله من الذهب، هل للمقايضة به مع دول أجنبية بُغية جلب بعض المواد كالأخشاب والأحجار، لأنه من المتوقع أن يُغطّي القصر البابلي والآشوري نفقات العمال والفنانين المحليين أجر عملهم بالحنطة والشعير أو السمسم وغير ذلك من المواد المُنتجة محلياً بما نعهده من صيغ أجور العمال في ألواح اقتصادية وإدارية. أضف إلى ذلك أن تلك الكميات من الذهب يُمكن أن تكون البديل عند شحة في الإنتاج الزراعي والحيواني في تلك الفترة. هذا إذاً ما استثنينا استخدام الذهب لأغراض فَنِّية في أجزاء داخلية في المعابد التي تُبنى.

٢. النوع الثاني:

تُشَكِّل المصاهرة مادة مهمة في رسائل "تل العمارنة" وقد لعب الجانب البابلي (الكشّي) والميتاني خاصة دوراً فيها بما كان يُقَدَّم لمصر من نساء البلاطين. إلاّ أننا كما سنرى أن مصر كانت في غنى عنه لأن تُبادِل نساءها بالمثل مع الجهتين المذكورتين ما دامت تشعر بالاكتفاء والحصانة السياسية على الرغم من أن ثورة "إخناتون" ينبغي أن تكون قد أحدثت ضرباً من الخلل الداخلي. وحينما نستعرض تلك النماذج الطريفة من المراسلة ستتكون لنا فكرة مُعيَّنة عن مآرب المصاهرة الملكية.

قبل عرض بعض المهم من رسائل المصاهرة، يمكن الاستفسار عن الكيفية التي بدأ فيها هذا الأمر. يقول "ستانلي كوك": "... إن بابل المسالمة على الدوام عرضت صداقتها، فكانت النتيجة خروجاً لم يسبق له مثيل عن السِنّة المصرية. إذ طلب "تحوتمس الرابع" يد أميرة ميتانية لتكون زوجة له وملكة، وهذه أول سابقة لتحالف سياسي يدعمه زواج ملكي"[٥٦]. ومما قيل أن" موتيموا"_ كان اسم الملكة المذكورة التي أمست، أمّا للامبراطور التالي "امنحوتب" الثالث، ولكن "لعل الملكة الميتانية الأصل لم تكن "موتيموا" بل التي خلفتها في المركز"[٥٧]. وإذا كان هذا النص سليماً تكون المصاهرة الميتانية قد سبقت البابلية التي جاءت تقليداً لها.

من الرسائل التي وصلتنا كانت واحدة مُرسلة من "كادشمان انليل" ملك بابل إلى "امنوفيس" الثالث موضِّحاً أن ابنته التي سأل بطلبها قد كبرت وأنها سترسل للزواج.

ومما أشار إليه أن والد ملك مصر قد تعوّد على إرسال مبعوثه بسرعة في حين أبقى ابنه مبعوثه ست سنوات. أن ما تشير إليه إحدى رسائل "كادشمان انليل" إلى امنوفيس" أنه غير مطمئن من إرسال ابنته" صوخارتي" إلى مصر، ما دام لم يسمع عن عَمَّتها التي تزوجت من ملك مصر بأمر من والدهن قائلاً أن أحداً لم يَرَها أو يعلم فيما إذا كانت ما تزال على قيد الحياة[٥٨]. ومما قاله" كادشمان انليل" بأنه ينبغي أن يكون هناك دليل على كون أخته على قيد الحياة وأنها تُعامل بما يليق بزوجة ملك. لذلك عمد ملك بابل إرسال مبعوث له يدعى " ريقا بن زقادا" بصحبته عدد من الموظفين لاستقصاء أخبار شقيقته. إلاّ أن ما نفهمه من إحدى الرسائل أن أحداً لم يُوفَّق في التعرُّف عليها وقد برر ذلك بالقول بأن أحداً من المُرسَلين لم يكن في عمر يستطيع تذكرها فقد حدث الزواج زمن والده لذا نصح بإرسال رجل حكيم يمكنه التعرُّف على أخته والكلام معها[٥٩].

لقد كتب ملك بابل، إلى حدّ التأثر، بأنه على الرغم من أن رسله قد شاهدوا زوجات "امنوفيس" اللاتي تَجَمَّعن أمامهم، وأن امرأة مُعَيَّنة قد أشارت إليهم كأخته، إلا أنه ليس بإمكانهم التأكد من ذلك[٦٠]. إننا لنفهم من الألواح أن ملك بابل أرسل إلى مصر مجموعتين من الرسل، ونفهم من أحد الرقم تَذمُّر "امنوفيس" من تلك السفارتين لأنهما رفعتا تقارير كاذبة عن البلاط المصري. والذي يبدو أن ملك مصر طلب من ملك بابل أن يُرسل فرقة عسكرية مع ابنته، لذلك جاء طلب "كادشمان انليل" بأنه لا جند لديه!، وأن ابنته "صوخارتي" ليست جميلة!. إن هذا الأسلوب جعل "امنوفيس" يُفَكِّر أن هذه الكلمات هي ليست من "كادشمان انليل"، وإنه يثق بأن رسله لم يقولوا الحقيقة"[٦١]. ومما نفهمه من رسالة أخرى أن "كادشمان انليل" طلب يد أميرة مصرية إلا أنَّ ردَّ "امنوفيس" جاء مخيباً للآمال:

"إن ابنة ملك مصر لا تُعطى لأي إنسان". وطبقاً لذلك فقد توعَّد العاهل البابلي في حالة عدم تلبية طلبه فإن أي سيدة من العراق سوف لن تذهب إلى مصر[٦٢]. لقد كانت هذه الإجابة محل تأويلات، من ذلك" أن ملوك مصر كانوا يأبون زواج بناتهم وإخواتهم

على حلفائهم ملوك آسيا، لأنهم كانوا يرون أن بنات "الدم المقدس" أرفع من أن يهبطن إلى مضاجع هولاء"، على حد قول كاتب يدعى "موري"[٦٣]. إلا أن ملك مصر، تحت إلحاح العاهل البابلي وافق على زواج فتاة من نبلاء مصر بملك بابل[٦٤]. والذي يبدو أن السبب الحقيقي الكامن وراء رفض ملوك مصر إرسال أميرات مصريات إلى الأقاليم الآسيوية هو ليس من شعورهم بالاستعلاء لأن الأمر لو كان ذلك لرُفِضت المعاهدة أصلاً ولحافظت مصر على نقاء دم عائلتها المالكة. إن النظرة الأسلم في تعليل منطق بلاط مصر يكمن في أن مصر كانت تشعر بالاكتفاء وأنها دولة موحَّدة لا يعوزها إلا أن تشعر بالاطمئنان على دوام تلك الوحدة بمهادنة الأطراف الخارجية، كما أن إعطاء بناتهن إلى البلاط الأجنبي سيكون بمثابة غلطة قد تعني ادعاء ملوك بابل وآشور وميتاني والحتّيي حق تملك مصر فيما بعد لو رُزِقوا أطفالاً من أم مصرية أخوالهم ملوك دولة راسخة. لنأخذ حالة جاءت بعد "إخناتون"، عند موت"توت عنخ آمون" إذ بعثت أرملته سراً إلى ملك حاتي (حدود سورية الحالية تقريباً) تطلب منه أن يرسل أحد أبنائه لتتزوجه وتجعل منه ملكاً على مصر ولكن المؤامرة عُرفت، وقتل هذا الأمير في سورية وهو في طريقه[٦٥]. على أي حال، لقد ورد في إحدى الرسائل أن بور نابورياش الثاني؟ أرسل مَنَّين لازورد إلى "ابنة زوجة ابنه" في مصر ومن ثم فإن "حقيقية كون ابنة امنوفيس الرابع قد تزوَّجت من أمير عراقي هو أمر جديد"، وفيما إذا كان هو" كاونيواش" فهو أمر لا يمكن تأكيده[٦٦]. ونفهم من رسالة أخرى أن" بورنابورياش" أرسل إلى" إخناتون" هدايا ثمينة لقصره تتمثل بعرش ذهبي وعربات خشبية وعدد من قطع الذهب والعاج. ويُعلِّل البعض ذلك بأنه رُبَّما يُمثِّل صُدّاق ابنة ملك مصر "الذي كان على وشك أن يكون قريباً لملك بابل"[٦٧].

ومن الواضح أن هذا الأمر يُشير إلى خروج الفكر السياسي المصري من منطلق التخوف زمن والد" إخناتون" إلى منطلق الثقة في عهد "إخناتون" نفسه، لا سيَّما وأنه صاحب"ثورة" أراد بها الغاء التحجُّر الذي كانت عليه عبادة الأوثان المصرية إلى التوجه إلى حقيقة إله يُظل جميع الشعوب بظله. وقد رجَّح البعض أن يكون "إخناتون" نفسه من أمه "تي" غير المصرية بنظرهم"[٦٨].

إلا أن الأبحاث التالية أثبتت خطأ هذا الافتراض فقد إتَّضح بأنها مصرية ومن عامة الشعب.

٣- النوع الثالث:

لهذا النوع من الرسائل أهمية خاصة، وكان النوع الثاني بمثابة تهيئة وأرضية له، لا سيَّما إذا علمنا أن بلاط أي من الممالك كان في غنى عن النساء الأجنبيات وقد علمنا بما سبق كيف أن بلاط مصر رفض تزويج ملك بابل من أميرة مصرية. وقد أشرت إلى أن الغرض لم يكن يتعلق بالنقاء والعنصرية لأن الأمر لو كان كذلك لما اقترن ملوك مصر بالآسيويات، بل لخشيتهم من أن يعني ذلك تدخُّلاً مستقبلياً للبلاط العراقي في شؤون مصر بل تجسيداً لأطماع سياسية ربما. على أي حال إن ما نفهمه من عدم معرفة"امنوفيس" الثالث لأخت "بورنابورياش" يدل على أن تلك الزوجات لم يكن على قيد الذكرى، وعلى الرغم من أن تلك المصاهرات كانت تحقق غايات سياسية إلاّ أن هناك صعوبتين لا يمكن أن تفوت الباحث هما: اختلاف العقيدة الدينية، وثانياً اللغة. ولكن على أي حال يبدو أن الآلهة كانت محط احترام البلاط من كلا الجانبين فالملك الميتاني أرسل إلى ملك مصر الإلهة "عشتار" من نينوى لتكون سبب شفاء الملك المصري[٦٩].

يخص الجانب السياسي من المراسلات ارتباطات معينة إضافة إلى طلب الحماية والتعويض فيما يخص القوافل التجارية. ومن خلال بعض السطور يمكن أن تكون فكرة عن أسلوب اللف والدوران الذي اكتنف جانباً من تلك العلاقات كأسلوب لا تخلو منه أي سياسة.

لنأتِ إلى رسالة ليس فيها طمع ولا جشع، بل هي من نوع مراسلات تطمين الجانب، وذلك عبر رسالة من ملك مصر "امنوفيس" الثالث:

"إلى "كادشمان انليل"، ملك كاردونياش (بابل)، أخي هكذا قال امنوفيس، الملك العظيم، ملك مصر، لأخيه: إنني بخير، وأملي أن يكون الأمر كذلك معك، ومع حكومتك وزوجاتك وأطفالك، ونبلائك، وخيولك، وعرباتك، وأن يعّم السلام أرضك، وآمل أن يكون الأمر معي كذلك، وحكومتي وزوجاتي، وأطفالي، ونبلائي، وخيولي، وعرباتي، وجيشي، وأن يعّم السلام أرضي"[٧٠]. إن مثل هذا الأسلوب الدبلوماسي الطريف كان سائداً كصيغة عامة للتخاطب فهذا ملك ميتاني يخاطب

"امنوفيس" الثالث قائلاً: "إلى امنوفيس، ملك مصر العظيم، وأخي، وصهري الذي أحبّه ويحبني أقول: أنا تشراتا ملك ميتاني العظيم، وأخوك الذي يُحِبُّك. صِحَّتي جيدة، وإنِّي أبعث بتحياتي إليك وأنت أخي وصهري، وإلى أقاربك وزوجاتك وأبنائك ورجالك"[٧١]. أما ملك "الاشيا" (قبرص) فقال مخاطباً ملك مصر:" إلى ملك مصر، وأخي، أقول: أنا ملك الاشيا، أخوك، صحتي جيدة، وأني أبعث بأفضل تمنياتي إليك، وإلى أقاربك، وإلى خادماتك، وإلى أبنائك، وإلى زوجاتك. وأبعث بالتهنئة لك على عرباتك العديدة، وخيولك كما أبعث بتمنياتي لبلادك مصر"[٧٢]. إلاّ أن مثل ذلك الإطناب قد لا نراه في أمثلة أخرى، على الرغم من أن ما وصلنا عنها نموذج واحد وذلك عبر خطاب الملك الآشوري "آشور أوبالط إلى "إخناتون".

" إلى أخي نفخوريا، فإني" آشور أوبالط"، ملك آشور، وأخوك الذي يدعو لك بالسلامة ولبلادك"[٧٣] ويلاحظ هنا أن الكاتب لم يذكر الأزواج والأبناء[٧٤].

إذا كانت الصيغ السابقة تخص ما تبدأ به الرسائل فإن أمثلة من المواضيع التي تناولتها تمدنا بما يوضح عناصرها.

تشير إحدى الرسائل المرسلة من "بورنابورياش" لإخناتون تذمّره من سرقة إحدى قوافله التجارية بقيادة مرسل له يدعى"خلمو"، وكان الاعتداء قد أعدّ له اثنان من رؤساء الكنعانيين لذلك أرسل مطالباً بالتعويض. وفي مناسبة أخرى أرسل مُكاتباً ملك مصر قائلاً إن تجاراً بابليين قتلوا وسرقوا في أرض كنعان بمنطقة تدعى" خيتّاتوني"، لذلك حمّل إخناتون مسؤولية ما حدث قائلاً: " إن أرض كنعان هي لك، وملوكها خدمك". وعليه فقد أرسلت مطالباً بالتعويض المُنصِف وبقتل المعتدين[٧٥]. إلاّ أننا قبل هذه الفترة لدينا رسالة تفيد أن ملك مصر "امنوفيس" الثالث، أرسل" كادشمان انليل" رسولاً لعمل اتفاقية تجارية يمكن وضع أهم نقاطها بالآتي:-

إن أي شخص في وادي الرافدين إذا ما تَنقَّل في أرض مصر بقصد المتاجرة ينبغي له أن يُقَدِّم خدمات معينة لملك مصر، وأن على المسافر، سواء كان تاجراً أو من أي صنف آخر، الذي يرفض ذلك فإنه سيُعامَل بالقوة لإنجاز ما يُنسب له، وإن من بين ما يطلب منه الفضة، الزيت، الدهن، الملابس، ومواد أخرى ذات قيمة[٧٦].

ومن الرسائل الدبلوماسية ذات الأغراض السياسية بما سبق عرضه في الرسالة المتبادلة بين" بورنابورياش" و" إخناتون" حول دخول الآشوريين إلى بلاط مصر وتذمّره من ذلك مشيراً إلى أنهم أتباعه ليس إلاّ، مُذكّراً إياه إلى أن والده كان يرفض الأحلاف الثنائية كالتي طلبها الكنعانيون ضد "امنوفيس" الثالث.

فضلاً عن تلك الرسائل الطريفة المهمة لدينا نموذج لحالة خاصة تعرضها رسالة من" بورنابورياش" إلى "امنوفيس" الرابع:

"إلى نفخوريا الملك العظيم، ملك مصر أقول هكذا يقول "بورنابورياش" أخوك: إن الحال على ما يرام من جهتي ومن جهة بيتي وخيلي وعرباتي، وكبار رجالي وأرضي، وإنه منذ اليوم الذي جاء إليّ فيه رسول أخي، كانت صحتي ليست بالحسنة، ولذلك فإن رسوله لم يتناول قط طعاماً أو نبيذاً بلج في حضرتي، ولي الحق لو سألت رسولك فإنه سيخبرك بأن صحتي لم تكن طيبة، و... ليس لدي شيء يجعلني (صحيح الجسم)، وعندما كانت صحتي سيئة، ولم يرفع أخي رأسي (بالسؤال عني) فإنني عند ذلك صببت جام غضبي على أخي قائلاً: "ألم يسمع أخي بأنّي كنت مريضاً؟ لماذا لم يرفع رأسي (أي يواسيني)؟ لماذا لم يرسل رسوله، وينظر في ذلك؟". وقد تكلم رسول أخي كما يأتي قائلاً: إن الطريق ليست قصيرة، وإذا كان أخوك قد سمع، فإنه لا بد أن يُرسل إليك التحيات والطريق لأخي بعيدة. فمن ذا الذي كان قد أبلغه حتى كان يُرسل إليك بسرعة تحياته؟. فهل سمع أخوك بأنك عليل ولم يرسل إليك رسوله؟ وقد أجبت علي هكذا، سَلْ رسولك فيما إذا كانت الطريق طويلة، ومن الجائز أن أخاك لم يكن قد سمع، وبناء على ذلك لم يُرسل شيئاً لتحيتك. وعلى ذلك عندما استخبرت من رسولي وقال لي إن الطريق طويلة، فأني لم أصبّ جام غضبي على أخي. وكما يقولون" إنه يوجد كل شيء في أرض أخي، وإن أخي ليس بحاجة إلى أي شيء. وقد توارثنا من الملوك علاقة طيبة من قديم الزمن، وإنا بناء على ذلك نبعث التحيات متبادلة، وهذه العلاقة ستدوم حقاً بيننا. سلامي عليك". ويرى الدكتور"بدوي" أن مصدر هذه الرسالة شيء آخر غير المرض، ويحتمل أن يكون ملك مصر قد طلب من ملك بابل شيئاً لم يكن بمستطاعه تأديته[٧٧]. مستعيناً بقوله في الرسالة، حسب ترجمته لها، " إن سفير أخي قد اعتذر ببعد الطريق"، وقوله أيضاً: "والواقع أني سألت عن ذلك من رسولي فقال إنها رحلة طويلة جداً. ومن ذلك اليوم طابت نفسي ولم يتحمل لأخي شيئاً من جفاء"[٧٨].

ثم قال بدوي "على أننا لا نستطيع أن نتصور أن يكون صاحب بابل من الغفلة بحيث يجهل بُعْدَ الطريق إلى مصر"[٧٩]. على أي حال إن ما أورده "بدوي" ليس إلاّ افتراضاً لعدم وجود ما يُشير إلى طلب ملك مصر شيئاً من الملك البابلي.